عن كتاب بلا عنوان

المارد

كتاب بلا عنـــــــــوان

إهداء:

إلى كل من انتقدني ونعتني بالفاشل، ومازال يفعل..

ها أنذا أكتب روايتي الأولى..

وسأواصل الكتابة، إنْ شاءَ من بِيدِه كل شيء..

مقدّمة

أولاً.. دعونا نتفق: أنا لا ولم ولن أكتب لك ولا لأي أحد، لذا لا تُرهق نفسك وتشرع في شحذ سيف الانتقاد ضدي.. أو حتى تمدحني؛ فأنا لا أبحث عن شهرة.. أو مديح.. أو انتقاد.

استيقظ شهاب كعادته على السابعة صباحاً.. لكن هذا الصباح كان استثنائياً.. فهو على موعد مع صديقته المقربة أروى..

..شهاب شاب في مُقتبل العمر، طالب بكلية الاقتصاد، في عامه الدراسي الأخير، وهو مقيم في غرفة بإحدى الإقامات الجامعية، رفقة صديقين له: رعد ومعاذ، أما أروى فهي طالبة بكلية الفلسفة، وقد جمعتهما المكتبة، بسبب ولع شهاب بالمطالعة والتزام أروى بدراستها التي تقتضي الاستعانة بالكتب..

شهاب شاب مفعم بالنشاط، فهو يهوى الرياضة، وبالأخص رياضة الجيدو وهو متحصل فيها على الحزام الأسود من الدرجة الأولى.. كعادته قام بإيقاظ صديقيه رعد ومعاذ.. ليتناول الثلاثة فطوراً مِن إعداد معاذ الذي يجيد تحضير فطور الصباح، وبعض أنواع الأطعمة، وأصناف من الحلويات؛ وبينما هم على طاولة الفطور، اتفقوا على أن يلتقوا، كعادتهم، عند منتصف النهار، لتناول وجبة الغذاء..

وبعد الانتهاء من الفطور، استأذن شهاب أصدقاءه للانصراف، قاصداً

موقف حافلات نقل الطلبة؛ استقل حافلته نحو كليّته، وهناك وجد أروى في انتظاره وهي ساخطة، كعادتها، تلومه على التأخر عن الموعد..

وخاطبته قائلة: أنتَ متأخر كعادتك!.. ابتسم شهاب ولوّح بيديه تعبيراً عن شعوره بالحرج، وقال: آسف، وهو جوابه المعتاد..

زالت سحنة الغضب تدريجياً عن وجه أروى رغم سخطها بسبب تأخره، فهي تحب الانضباط والالتزام بالمواعيد أياً كانت، واحتفظ شهاب بابتسامته وذهبا معاً إلى الكلية..

كسر شهاب الصمت قائلا: حسناً يا أروى، إن كان غضبُك بسبب تأخري فلنجعل تحدياً بيني وبينك، يقوم على الانضباط والالتزام والحضور في الوقت المتفق عليه..

ردّت أروى على الفور: متأكدة أني الفائزة في هذا التحدي..

ابتسم شهاب قائلاً: حسناً، لتكن المكتبة ساحة التحدي، وساعة الفراغ وقته..

ـ علماً أنّ شهاب وأروى يشتركان في ساعة فراغ.

ـ حسنا لك ما تريد يا بطل التأخير، علّقت أروى مبتسمة..

أخيراً، استطاع شهاب خداع أروى وتحويل تكشيرتها إلى ابتسامة جميلة كانت خاتمة اللقاء، إذ ودّعته لتذهب لحصتها الدراسية، وبعد انتهاء الحصة الأولى تركت أروى صديقاتها، متوجهةً إلى المكتبة، مجدداً، أمّا شهاب فكان غير مبالٍ بأهمية الوقت، وهو لا يحرص على الالتزام بمواعيده عكس حرصه على التحليل والاستنتاج والتخمين.. وبعد انتهائه من حصته بقي يتجاذب أطراف الحديث مع أصدقائه ناسياً تماماً موعده مع أروى.. مرّت قرابة 15 دقيقة من بداية ساعة الاستراحة، ليتذكر فجأة موعده المتجدّد.. أسرع الخطى إلى المكتبة ليجد أروى وقد سبقته كالعادة، فقابلها بابتسامة مُعبِرا عن أسفه، مرة أخرى.. تماماً كعادته..

* تماماً في الوقت المحدد يا بطل التأخير!

ـ آسف.. آسف يا أروى..

* لابأس، فجوابك معروف يا مغفل.. دعنا نكتشف كتاباً جديداً نطالعه..

وبينما هما يسيران في أرجاء المكتبة إذْ لفت انتباه شهاب كتاب من دون عنوان.. شدّه الفضول إليه، فتناوله وشرع في تصفحه.. لكنه فوجئ بأنّ

صفحاته بيضاء وفارغة تماما، ما أثار استغرابه وعجبه، وإعجابه في الوقت نفسه بينما لم يُعجب الأمر أروى، فبادرها قائلاً:

ـ حسناً، ألا يبدو الأمر ممتعاً؟ ما رأيك بهذا الكتاب يا أروى؟

* وما الممتع في كتاب فارغ تماماً يا شهاب؟!

ـ سوف نستعيره، ونستكشف سرّه، ونبحث عن تفاصيله لاحقاً!

* إن كان هذا ما تريده، فسوف نأخده، لكن يجب أن نبحث عن كتاب آخر لأطالعه في أوقات فراغي..

ـ لِمَ لا..؟

عاد شهاب وأروى لِيَلتَهِما رفوف المكتبة بأعينهما، بحثاً عن كتاب آخر وما هي إلا هنيهة، حتى كانت أروى قد اختارت كتاباً، ليغادرا المكتبة..

* هل حقاً تريد هذا الكتاب يا شهاب؟.. لماذا لم تقم باختيار كتاب آخر؟

ـ دعينا نستكشف الأمر يا أروى.. لقد

أحسست بشعور غريب نحوه، وسوف أقوم ببحث عنه لاكتشاف تفاصيله

بكل تأكيد..

* حسناً يا شهاب.. سوف أعود إلى الدراسة، ولنلتقي مجدداً في وقت آخر، واحرص على الحضور في الوقت..

ـ اتفقنا أروى..

عاد شهاب إلى قسمه، ولم يكن مُركّزاً مع المحاضِر، بل كان يفكر في الكتاب الغريب الذي أحضره، وكان خياله يسرح بين الحين والآخر في التخطيط لمغامرة ما، فهو مُحِبٌ للمغامرات..

أروى

أمّا أروى، فقد كان جل تركيزها على المحاضرة، فهي تتطلع إلى تحصيل دراسي ممتاز، وتطمح لأن تكون الأولى على مستوى صفها، وحلمها كبيرٌ في بلوغ أعلى المستويات الدراسية، كما أنّها تريد منافسة شهاب دراسياً وفكرياً، فهي معجبة به، بعد أن أدركت امتلاكه لصفات ممتازة، كتحصيله الدراسي الجيّد وذكائه الكبير واستنتاجاته الذكية، متغاضية عن عدم انضباطه في المواعيد؛ وعلى العكس من ذلك لا يشعر «الغبي» فلا يشعر بشيء تجاهها..

بعد انتهائها من محاضراتها، عادت إلى غرفتها في الإقامة الجامعية، حيث تقيم بها وحيدة، إذ اختارت الوحدة بدلاً من أن تكون رفقة صديقات يحسدنها على جمالها ونتائجها الدراسية الجيّدة..

ارتمت على سريرها تفكر في شهاب، وعما ينوي فعله.. تنهدت بعمق متسائلة: تُرى بِمَ يشعر ذلك الغبي تجاهي؟ تناولت هاتفها تتصفح أحد مواقع

التواصل الاجتماعي، مُستطلعةَ آخر المستجدات، ثمّ تذكّرت الكتاب الذي استعارته من المكتبة، وما إن فتحته لتشرع في قراءته حتى سمعت طرقاً على الباب فأذنت بدخول الطارق الذي لم يكن سوى صديقتها «الغبية» نور التي يتمحور معظم حديثها عن الرومانسية والحب..

ـ أراك مُتعبة يا أروى..

* أنا بخير..

ـ اممم.. كيف كان يومك مع شهاب؟

* كعادته متأخرٌ في مواعيده..

ـ الغبي كأنّه لا يُقدّر مدى جمالك، ولا يدرك نظرات الإعجاب التي يرمقك بها الشباب..

* ألا يمكنكِ تغيير الموضوع يا نور؟

ـ حسناً، حسناً يا أروى.. فوجهك صار مُحمراً.. تُراها حُمرة الحب أم حُمرة الخجل..؟

* غبية.. لُنحضِّر بعض الغذاء فأنا أتضوّر جوعاً..

شرعت الفتاتان في تحضير الغذاء وهما تتجاذبان أطراف حديث شيّق حول الدراسة ومواضيع نسائية مختلفة.. وبعد تناول الطعام استأذنت نور وغادرت الغرفة، أما أروى التي كانت متعبة فاختارت أن تأخذ قيلولة على أن تشرع بعدها في قراءة الكتاب..

شهاب

بعد انتهائه من الحصة الدراسية، ذهب شهاب إلى أصدقائه الذين لا يهمهم موعد أو وقت.. جلس في طاولة واحدة رفقة رعد ومعاذ وبدأ ثلاثتهم يتحادثون عن تفاصيل يومهم..

قال شهاب: حسناً يا شباب.. لقد جئتكم بمفاجأة..

ـ ما هي مفاجأتك؟.. قال رعد باستخفاف، متسائلاً: أهي تأخرك عن موعدك وغضب أروى كالعادة..؟

عقّب معاذ على كلام رعد زاجراً: اخرص أيها الوغد.. ودعنا نعرف المفاجأة..

فسارع شهاب إلى إخراج الكتاب الفارغ، ووضعه فوق الطاولة قائلاً: هذه هي مفاجأتي لكم..

تعجب الصديقان، وهما يُحملقان في كتاب لا يحمل غلافه الخارجي أي كتابة وراحا يتساءلان:

ـ لكن ما المغزى وما الجدوى من كتاب كهذا.. بلا عنوان ولا اسم المؤلف أو الكاتب أو مصدره؟

* حسناً يارفاق دعونا نتفحصه..

فتح الأصدقاء الثلاثة الكتاب الغامض، ففاجأتهم كتابات غير مفهومة وتابعوا تصفحه إلى أن وصلوا إلى نهاية

جزئه الأول، فوجدوا نفس الكتابات

المبهمة..

ـ رعد.. ما معنى هذه الكلمات؟

* معاذ.. لنَعُد إلى غرفتنا ونبحث مرة أخرى، لعلنا نجد ما يُرشدنا إلى حقيقة هذا الكتاب العجيب..

عاد الأصدقاء إلى غرفتهم بالحي الجامعي، وأمر الكتاب يشغلُهم، وهم يأملون أن يجدوا ما يقودهم لمعرفة سر الكتاب.. عند وصولهم إلى غرفتهم كان التعب قد أنهكهم فقرّروا أخذ قسط من الراحة، ليواصلوا بعدها بحثهم، كمن يبحث عن كنز.. فتح شهاب حاسوبه، واستعان بمحركات البحث على

شبكة الأنترنت، لعلها تُخبره بأمر الكتاب، لكن دون جدوى

ـ لا يوجد به حتى عنوان، فكيف لي أن أبحث عنه؟

فكّر شهاب في الاتصال بأروى، لعلها تساعده..

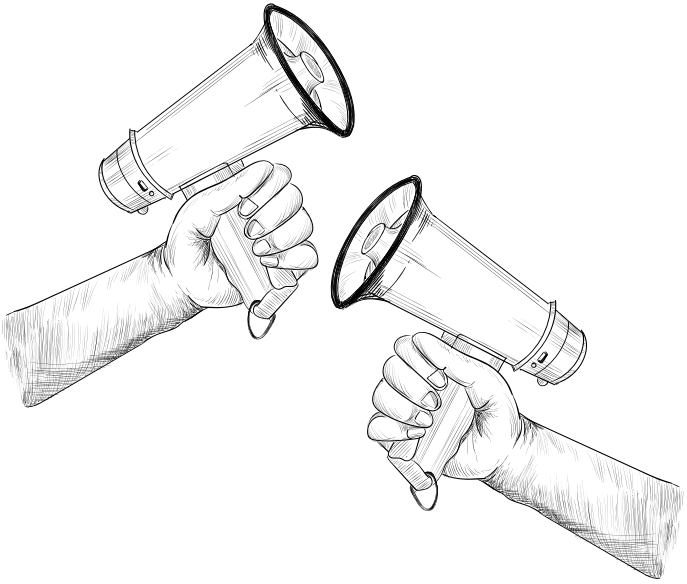

المملكة

كانت المملكة في حالة طوارئ، فقد كان جيش الملك يبحث عن فتاة حسناء ليصنع بدمها إكسير الحياة، متوهماً أنّ ذلك سيطيل عمره؛ لكنّه لم يكن يعلم أنّ أفراد المملكة كانو قد قتلوها لأنهم لا يريدون للملك البقاء على قيد الحياة بسبب طغيانه وجبروته، وكان أفراد المملكة لايقوون على مواجهته ومواجهة أعوانه مباشرَة، فأغلبهم طاعنون في السن، ومعظم شبابها يهاجر من أجل كسب قوت العيش وهروباً من الحياة الصعبة في المملكة التي لم يبق فيها تقريباً سوى كبار السن، وفتيات إما هاربات من جيش الملك أو مختبئات؛ وحين لم يبق للملك من إكسير الحياة شيءٌ أمر جيشه بمضاعفة الجهود وتكثيف البحث لكن من دون جدوى؛ وعندما أوشك رصيد الملك من الأكسير على النفاد، خرج جيشه عازماً كل العزم على إيجاد أي فتاة قد ينقذ دمها الملك من الهلاك الوشيك..

أروى

بينما كانت أروى تغطُ في نومٍ عميقٍ بعد يوم دراسي شاق إذْ أيقظتها نغمة هاتفها النقال، فالتقطته وهي تُتمتم: تُرى من المتصّلِ في مثل هذا التوقيت؟ وما إن أبصرت الشاشة حتى ردّدت: اممم.. شهاب مجددا!

* مرحباً شهاب.. ماذا تريد؟

ـ اعذريني أروى على اتصالي المفاجئ، هل يمكننا أن نلتقي، فأنا أحتاج بعض مساعدتك؟

* حسنا، فقط لا تتأخر..

أغلقت الخط وهي تتساءل:

ماذا يريد بطل التأخير ليطلب هذا الموعد المفاجئ، فهو قلّما يطلب موعداً أصلا؟..

قامت أروى من فراشها واستعدّت للقائها.. وفي ذلك الوقت كان شهاب قد سبقها إلى المكان المحدّد، على غير عادته.. تفاجأت أروى، ولم تُخف تعجبها وإعجابها بذلك، فخاطبتها على الفور مبتهجة:

* ها قد أصبحت بطل الحضور في الوقت، بعد أن كنت بطل التأخير..

أجاب شهاب ببرودة، وهو يبدو كما لو أنّه شارد الذهن:

ـ شكراً.. هل تُسدين لي معروفاً وتساعدينني في البحث عن حقيقة الكتاب الفارغ الذي استعرناه من المكتبة؟

* لقد نسيتُ أمره تماماً.. كيف يمكنني مساعدتك؟

ـ أريدك أن تسألي أحد أساتذة اختصاصك، لعلّه على علم بحقيقته..

* لا مشكلة.. سأسأل أحدهم غداً، وسوف ألاقيك في الموعد المعتاد أمام المكتبة بعد المحاضرة، لأطلعك على ما توصلتُ إليه..

ـ حسناً، لكِ ذلك..

عاد شهاب مسرعا إلى غرفته وأخبر معاذ ورعد أنه طلب العون من أروى.. فعقّب معاذ قائلا: لماذا أقحمتها في أمر الكتاب يا شهاب؟

ـ لابأس يا معاذ، أظن أنها تستطيع تقديم المساعدة..

نام شهاب تلك الليلة وهو متلهفٌ لمعرفة سر ذلك الكتاب الغامض؛ واستيقظ باكراً، بل إنّه تقريباً لم ينم تلك ليلة بسبب لهفته.. وكان في الموعد، هذه المرة، أمام المكتبة عندما ظهرت أروى التي بدت مستغرِبة إزاء التغيّر المفاجئ الحاصل على من تُسمّيه «ملك التأخر»، بعد حصوله على الكتاب فقد أصبح غير متفرّغ لمحادثتها، وصار منضبطاً وملتزماً بمواعيده، لكن في نفس الوقت استحسنت سلوكه الجديد..

* مرحباً شهاب..

ـ مرحباً أروى.. هل من جديد حول الكتاب؟

طأطأت أروى رأسها، قائلة: للأسف.. لا جديد..

ظهرت الحسرة على وجه شهاب، فأرادت تحسين مزاجه، ولو قليلاً حين خاطبته مُطمئِنة:

* لا تقلق شهاب.. سوف أساعدك في البحث، ولنجعل بعد الغذاء موعداً لنا، وليكن في المكتبة، بعيداً عن صخب الطلبة، لعلي أستطيع البحث والتفكير أكثر في الأمر..

في الحقيقة، لم تكن أروى معجبة بفكرة البحث عن سر الكتاب الغامض فقد أحست بريبة ورهبة إزاءه، لكن من أجل تخفيف العناء عن شهاب ارتأت مد يد المساعدة، وحملت الأمر على محمل الجد..

ـ حسناً أروى، سوف أجتمع مرة أخرى بمعاذ ورعد ونحاول مجدداً، على أمل الوصول إلى شيء ما..

وبينما غادر شهاب باتجاه قسمه منتعشاً نشيطاً، كانت خطى أروى متثاقلة وهي التي بدأ الندم يتسلل إلى نفسها شيئاً فشيئاً، إذ انتباتها مشاعر غير طيبة وأحاسيس غريبة نحو الكتاب، حتى أنّها لم تستطع التركيز خلال حصتها الدراسية، إلى درجة أن أستاذها وزملاءها لاحظوا ذلك، وما إن انتهت الحصة، حتى ذهبت إلى المكتبة، لتجد كلاًّمن رعد وشهاب ومعاذ

في انتظارها معاً.. وهذه المرة، وعلى خلاف المعتاد، كانت هي المتأخرة.. كانت تمشي نحوهم وهي لا تكاد تشعر بشيء، نتيجة خوفها من المجهول الذي يحمله الكتاب الغامض.. لكنّها كانت تحرص على طمأنة نفسها بأنّ شهاب قادر على حمايتها أياً كان ما يُخبئه ذلك الكتاب..

اجتمع الأربعة في مكان منعزل وسارعوا إلى فتحه، وأعينهم الثمانية شاخصة نحوه، متطلعة إلى صفحاته..

قال رعد: ما رأيكم بهذه الكتابات..؟

ثم نظر إلى أروى متسائلاً: هل مرّت عليك كلماته كهذه من قبل؟

طالعت أروى جملة لكنها لم تفهم شيئاً.. فقالت: لا أستطيع قراءتها أصلاً! هنا.. حاول شهاب قراءة تلك الكلمات بصوت عالٍ وليته لم يفعل.. فما إنْ أتّمها، حتى وجد الفتيان الأربعة أنفسهم وسط مروج خضراء لا يوجد بها شيء سوى كوخٍ مهجورٍ..

ذُهِل شهاب ولم يستطع أن يدرك إن كان ما يعيشه كابوساً أم أمراً واقعاً.. لقد كان تحت وقع صدمة كبرى، زادها هولاً أنّه لم يجد صاحبيه معه وحدها أورى من كانت رفقته، وهي لم تحتمل ما حصل، فسقطت مغمياً عليها.. أسرَع شهاب نحوها، مُحاوِلاً إيقاظها:

ـ أروى.. أروى.. تماسكي..

زاد قلق شهاب، وتسارعت نبضات قلبه وبدأت مخاوفه تتفاقم، وزادت حِدّة هلعه وهو يتأمل أروى فاقدة للوعي.. سارع إلى حملها، وهو يحث الخطى إلى الكوخ صارخاً: ساعدونا.. ساعدونا..

لكن من دون جدوى، فقد كان الكوخ مهجوراً تماماً، مما اضطر شهاب إلى دخوله دون استئذان.. وضع أروى على سرير وجده هناك، وبدأ يبحث عن قطعة قماش ولمّا لم يجد، قام بتمزيق قطعة من قميصه، وأسرع نحو نهرٍ بدلو عثر عليه في الكوخ، ملأه بالماء وعاد مسرعاً إلى الكوخ ليبلّل قطعة القماش ويضعها على جبين أروى:

ـ أرجوكِ.. تماسكي.. تماسكي.. لقد كنتُ غبياً حقاً بإقحامك في الأمر..

وشرع في ضرب الأرض بشدة متحسراً ومعاتباً نفسه: ما أغباني.. ما أغباني..

في تلك الأثناء كان معاذ ورعد في مدينة لايعرفان شيئاً عنها..

* كيف حصل هذا الأمر يا رعد؟

ـ أظن أنّ الكتاب مسحور.. أو شيء من هذا القبيل.. ألا توافقني الرأي يا شهاب؟

* أين شهاب؟

ـ أين أروى؟

* ماذا نفعل يا معاذ؟

ـ دعنا نبحث عنهما أولاً يا رعد، ومِن ثمّ نقرّر ماذا نفعل..

شهاب وأروى

في أوّج لحظات حزن وانكسار شهاب، بدأت أروى تعود تدريجياً إلى وعيها.. وما إن لمحتْ مسحة الحزن على وجهه حتى خاطبته تشد على قلبه قائلة بصوت خافت غريب:

* أراك منكسراً يا شهاب!.. أين عزيمتك؟

قام شهاب، وأشرق وجهه فرحاً واستبشاراً بتحسن حالة

أروى..

ـ آسف على إقحامك في هذا..

* لم تقحمني في شيء.. لقد كان لديّ شعور سيّء منذ البداية، لكن ثقتي بك وبذكائك جعلتني أخاطر، فكل الآمال معلقة عليك يا شهاب..

فجأة.. بدأت أروى ترتجف برداً.. من الواضح أنّها قد أصيبت بنزلة برد حادة.. أسرع شهاب باحثاً عن شي يغطيها به فوجد بطانية قديمة وضعها

فوق جسمها المرتعش، وذهب ليحصل على بعض الحطب، فلم يجد سوى القليل، ولكنه كافٍ.. أوقد شعلة من نار ووضع سطلاً حديدياً ملأه بالماء فوق الحطب، وأدخل يده في جيبه على أمل إخراج هاتفه والتواصل مع صديقيه، لكن الهاتف لم يكن موجوداً..

ـ سأذهب للبحث عن طبيب أو علاج لك يا أروى.. لا تبرحي مكانك..

صرخت أروى وهي تشعر بالفزع: إنـ....تظر..

..يا شهاب لا أريدك أن تبتعد عنّي.. قالتها بخجل..

ـ لا تقلقي أروى.. أنتِ في آمان داخل هذا الكوخ.. لن أطيل الغياب..

* هل تعدني بالعودة سريعا؟

ـ أعدك..

وانطلق شهاب في رحلة البحث..

معاذ ورعد

بعيداً عن شهاب وأروى، كان معاذ ورعد يجولان المدينة بحثاً عن أي دليل قد يُرشدهما إلى رفيقيهما.. وقد كان كلُ من يشاهدهما في ينظر إليهما باستغراب..

* لماذا لا نسأل سكان المدينة، لعلهم رأوهما يا معاذ؟

ـ كفاك غباءً يا رعد، ألا ترى نظرة السكان لنا.. إنّهم يعرفون أنّنا غرباء..

* دعنا، إذن، نتأقلم مع هذا الوضع الجديد.. لنشتري ملابس مثلهم ونغيّر تسريحتنا..

ـ ..وكيف سنفعل ذلك أيها العبقري؟!

* لديّ بعض المال..

وأدخل يده في جيبه، فعادت إليه خاوية.. لا يوجد مال، ولا هاتف، ولا أي شيء..

استغرب رعد ذلك..

* حسناً يامعاذ، انس الأمر، ولنكمل بحثنا..

وبينما هما يتمشيان في بعض أرجاء المدينة، إذ فوجئا بعدد من الأشخاص الذين يرتدون لباساً عسكرياً يشير إلى أنهم أفراد جيش.. حاولا الهرب ثم المقاومة، لكنهما كان أضعف من أن ينجوا.. إذ تمّ القبض عليهما، وأصبحا «أسيرين»..

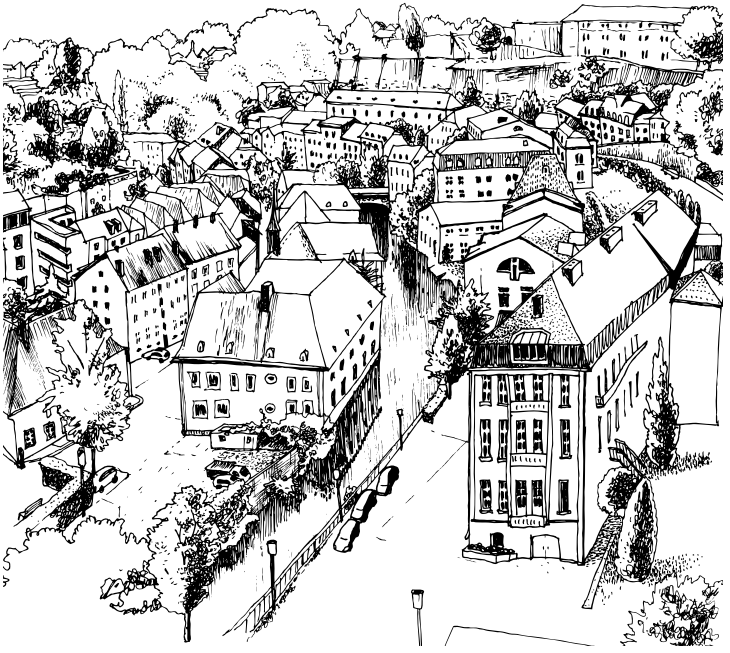

أروى

بينما كانت أروى منهكة من المرض مستلقية في فراشها الجديد داخل الكوخ القديم، وهي تذرف الدموع حسرة على وقوعها في قبضة حياة جديدة مجهولة المعالم، إذ دخل راعي غنم، فوجئ بالفتاة، وبعد أن تأملها، خاطبها:

ـ تبدين مريضة سيدتي..

أحسّت أروى بخوف شديد، وقد لاحظ الراعي ذلك، فحاول تبديد هواجسها بقوله:

ـ لا تقلقي.. أنا مستعدٌ لمساعدتك.. ولستُ أريد إيذاءك، صدّقيني، ولاتقلقي..

بثت كلمات الراعي بعض الاطمئنان في نفس أروى، وبدأ التوتر ينزاح تدريجياً عن وجهها..

ـ أظن أنكِ لستِ من هنا؟.. فقد لاحظت ذلك من ملابسك..

* نعم.. نحن غرباء..

ـ نحن؟!

* نعم.. نحنُ أربعة.. ولكن... وقبل أن تُنهي أروى شرحها، غلبها السعال فأدرك الراعي أنّها مصابة بنزلة برد..

لم يقل شيئا، بل غادر الكوخ، ولم يعد إلاّ ومعه كيس به أعشاب قام بخلطها في الماء، وصنع منها مشروباً قدّمه لأروى قائلاً:

ـ اشربيه سيدتي، وسوف تشعرين بالراحة..

لم تتردد في شربه.. ويبدو أنّه كان صادقاً فعلاً بخصوص نجاعة المشروب فبعد دقائق فقط بدأت علامات التعافي تظهر على أروى التي استجمعت قواها، وهي تشعر بأنها قد عادت إلى وضعها الطبيعي..

ـ حسناً، ماهي قصتكم؟

شرعت أروى في سرد ما جرى.. بداية من استعارة الكتاب الغامض إلى غاية تواجدها طريحة فراشٍ لم ترقد عليه يوماً.. وهنا بدا القلق واضحاً على وجه الراعي، وهو القلق الذي انتقل من وجهه إلى حروف كلماته:

ـ ليس من الجيد أن تبقيا هنا.. خصوصاً أنتِ!

* لماذا؟

ـ لأنّ الملك يبحث عن فتاة حسناء ليصنع بدمها إكسير الحياة.. ..وسرد لها حكاية المملكة..

* ..ولكن رفيقي ذهب وعليّ أن أنتظره حتى يعود..

ـ يا حمقاء.. يستطيع رفيقك تدبر أمره، أمّا أنتِ فإنكِ في قلب خطر داهم وإذا علم الملك بأمركِ فإنّه سوف يقتلكِ لا محالة..

شهاب

وصل شهاب إلى المدينة فوجدها خالية من المارة، كأنها عاشت لتوها كارثة أنهت كل تواجد بشري فيها.. وبينما هو يتساءل عن سبب خلو أرجائها إذ أقبل عليه شخص مسرع، بادره بالقول:

أُركض بسرعة يا هذا.. وأمسك بيده، وأدخله أحد البيوت، وما إن أغلق الباب حتى التقط أنفاسه، وقال: لقد نجوتَ بأعجوبة.. من حسن حظك أنّي رأيتك..

ـ ماذا يحصل؟

* أنت غريب عن قريتنا.. احصُل على بعض الراحة، وسأخبرك بما يجري.. بالمناسبة اسمي قيس، وأنا أعيش في هذه المملكة وأشتغل في السوق..

ـ تشرفت بمعرفتك قيس.. أنا شهاب..

* لقد كان الجيش هنا..

ـ ماذا يفعل الجيش في المدينة؟

* إنّهم يحاولون إيجاد أيّ فتاة حسناء ليصنع الملك بدمها إكسير الحياة وبينما كان الجيش يقوم بالبحث ألقى القبض على شابين غريبين تم أخذهما إلى القصر..

ـ شابان غريبان؟!

* نعم، ويبدوان في مثل سنك، وكانا يرتديان ملابس شبيهة بملابسك..

ـ مستحيـــــل.. إنّهما صديقاي.. سألحق بهما..

* هل أنت أحمق؟ واضحٌ أنّك لا تعرف مدى خطورة الاقتراب من الجيش..

ـ وما هو الحل؟

* أولاً.. كيف وصلت إلى هنا؟ وماذا تريد بالتحديد؟ أخبرني بكل شيء.. وسوف أساعدك..

سرد شهاب القصة لقيس الذي تعجب كثيراً..

* حسناً.. إن كنت تبحث عن طبيبٍ، فلنسرع قبل أن يصل الملك إلى

رفيقتك ويزداد الأمر سوءاً.. لكن عليك أن تُغيّر ملابسك أولاً..

فتح قيس خزانته، وقدّم ملابس لشهاب طالباً منه ارتداءها على الفور..

معاذ ورعد

دخل عدد من أفراد الجيش القصر ووقفوا أمام مجلس الملك، ومعهم رعد ومعاذ.. فصرخ مستشار الملك بنبرة غضب مخيفة:

* من أنتما؟

وبدا أنّ المستشار لم يتعجب من مظهرهما الذي يشير إلى أنّهما غريبان عن المملكة.

كان معاذ ورعد خائفين يرتجفان، لدرجة أنّهما بديا غير قادرين على الكلام.. وبصعوبة شديدة، نطق معاذ قائلاً: نحن سائحان فقط..

لقد كان على ما يبدو مدركاً لمدى خطورة موقفهما، واعتقد أنّ القوم إنْ علموا أنهما غريبان عن المملكة قد يخلوا سبيلهما.. لكن في هذه الأثناء سحب أحد أعوان الملك سيفاً من غمده، وصاح قربهما: هل رأيتما فتاة بالجوار؟

ردّا بصوت واحد: لا يا سيدي..

* خذوهما إلى السجن؛ سنتولى أمرهما لاحقًا..

سارع بعض الجنود إلى تنفيذ الأمر، وتم إغلاق الزنزانة عليهما بإحكام..

كان دخولهما السجن، رغم مرارته، أمراً فيه بعض المنفعة لرعد ومعاذ فهما يتضوران جوعاً، وسجنهما يعني حصولهما على طعام ومأوى!..

- رعد.. تُرى أين أروى وشهاب؟ وكيف حالهما؟

أروى

في هذه الأثناء كانت أروى مع زوجة الراعي وأمه في منزله، بعيداً عن المدينة..

قصّت أروى ما جرى لها ولزملائها، فطمأنتها أم الراعي، قائلة: لا تقلقي.. نحن بعيدون عن عيون الملك.. وأنتِ في مأمن، ولا خوف على رفاقك.. فهم ليسوا من يبحث عنه الملك وأعوانه..

وواثقة أنّ صديقك الذكي سوف ينقذكم..

هنا تدخلت زوجة الراعي وحاولت تلطيف الأجواء فقالت: امممم.. لابد أنّك معجبة به.. أليس كذلك؟.. نحن النساء لا نمدح إلا الذي يميل قلبنا إليه..

شعرت أروى بالخجل.. فطأطأت رأسها واكتفت بابتسامة.. وضحكت الأم..

شهاب

أما عن شهاب فقد بقي مع قيس يساعده في السوق، لكنّه لم ينس أروى قط، فقد كان جل تفكيره يتمحور حولها، منشغلاً بشأن كيفية العودة إليها والتخلص من هذه الورطة بعد أن حذّره قيس من مغبة الذهاب إلى الكوخ، وأقنعه أنّها ستتدبر أمرها ولو إلى حين..

الأمر غريب.. فقد كان لايبالي أبداً.. لعله بدأ يتغير..

قرّر شهاب أن يستكشف قصر الملك، فذهب في إحدى الليالي خلسة إلى مكان قريب من القصر، ففوجئ بأنّه يبدو على عكس ما كان يتصوره.. إذ وجده كبيراً جداً، وشكله مخيف، إضافة إلى أنّه مُحصّن بنظام حماية يجعل التسلل إليه مستحيلاً..

عاد شهاب إلى منزل قيس، وبينما هما يتناولان عشاء، إذ فاتحه في موضوع رفيقيه، وأطلعه على أنه يرغب في مساعدته لمحاولة الوصول إليهما والعمل على تحريرهما من السجن..

* آسف.. لا أستطيع مساعدتك.. ودخول القصر غير ممكن، ودماؤنا ستكون ضريبة محاولة التسلل إليه.. وحتى إن دخلنا فإنّ سيوف الحرّاس ستكون لنا بالمرصاد.. والملك سيقرّر إعدامنا.. فلتحفظ نفسك ونفسي من الهلاك أيها المتهوِّر..

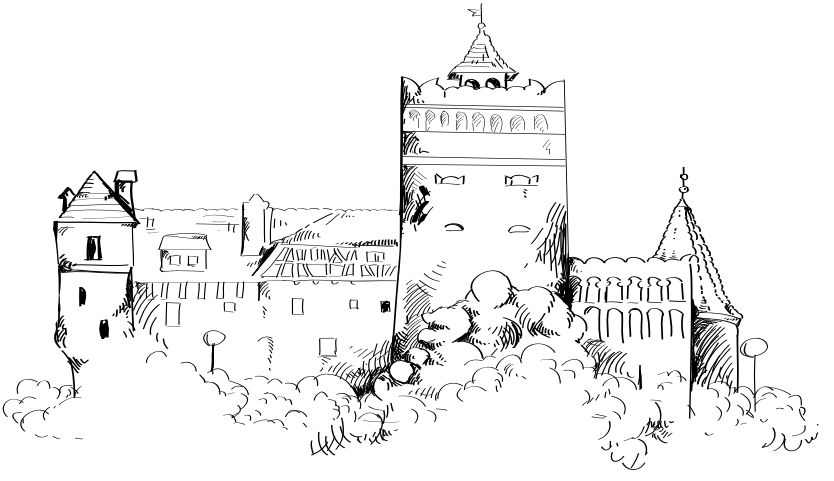

المستشار

كان مستشار الملك يفكّر في كل السبل والاحتمالات التي تسمح بالعثور على فتاة يكون دمها سبيل لإنقاذ سيّده من الهلاك الوشيك.. وحين تذكّر الشابين رعد ومعاذ خطر له أنّهما قد لا يكونا دخلا المملكة بمفردهما، وأنّ احتمال وجود فتاة معهما وارد..

أمر المستشار بأن يأتوه بساحرة، وما هي إلا ساعات حتى كانت في القصر..

* ماذا تريد أيها المستشار؟

ـ أريدك أن تبحثي عن فتاة أظن أنّها مختبئة في الجوار فقط..

* وماذا ستكون مكافأتي إن وجدتها؟

ـ لك ما تريدين من المال..

* اتفقنا سيدي.. أمهلني ليلة واحدة، وسوف أجدها..

كانت تلك العجوز الشمطاء تُلقّب بساحرة المملكة وهي معروفة بتجربتها الكبيرة في الشعوذة، حتى أنّ السكان كانوا يتقون شرّها إذ يعتقدون أنّ لها أعين يستحيل الاختباء منها..

وبعد ليلة واحدة كانت في القصر مجدداً..

ـ أين هي؟

* ..وكأنّك واثق من وجودها!

ـ أجل.. حدسي يُخبرني بذلك..

* حدسك أصاب أيها المستشار.. إنّها في منزل بعيد عن المدينة.. في إحدى المزارع ـ قامت بوصفها ـ مع امرأتين..

ـ لقد سمعتم أيها الجنود.. أسرعوا إلى هناك ولا تعودوا من دونها.. وحضِّروا مراسيم الذبح فوراً..

ذهب جيش الملك إلى المكان الذي وصفته العجوز، وفعلاً وجدوا أروى في منزل الراعي، وتقدم أحدهم فأمسكها بقوة وعنف وكبّلها، ثم وضع على عينيها شريطاً يحجب عنها الرؤية، ولم تنفع مقاومتها ولا صرخات المرأتين.. وأسرع الجيش بها إلى الملك.

أمر المستشار بتعليقها في عمود من قدميها بحيث يكون رأسُها إلى الأسفل ووضعوا تحتها دلواً..

لفتت حركة أفراد الجيش في المدينة أنظار السكان الذين استطلعوا الأمر وعلموا بخبر وقوع الفتاة في قبضة الجنود.. أخبر قيس شهاب بما جرى فانتابه شعور رهيب وتجمد الدم في عروقه، وأصابته قشعريرة.. في تلك اللحظة شعر بالانكسار الشديد.

* سأحاول مساعدتك يا شهاب.. إذهب إن شئت إلى القصر لعلك تنقذ رفاقك.. ودع الباقي لي..

ـ لكن القصر به نظام حماية يستحيل أن أخترقه بمفردي..

* سوف يكون القصر فارغًا.. سأفتح لك طريقاً..

ـ كيف؟

* الليلة مظلمة، وقد تمّ القبض على زميلتك، ومن قواعد استخراج الترياق أن يكون المستشار والملك في غرفة وحدهما.. وهذا لصالحك، أمّا عن الجيش فهو غير مسلح.. سوف أهتم بأمره.. وأدَعُ الباقي لك.. اذهب وكن حذِراً.. سوف أكون بالجوار..

ـ حسنا.. شكراً لك قيس..

انطلق شهاب بسرعة نحو القصر، بينما اندفع قيس نحو مجموعة من أفراد الجيش الذين كانوا يحرسون القصر، واستغل عدم وجود سلاح معهم فقتل أحدهم، ليلحقه الباقون.. استغل شهاب الوضع، فتسلل إلى القصر الذي بقي دون حراسة.. وبعد قليل من البحث عثر على رواق يؤدي إلى ما يشبه النفق.. هناك وجد بوابة السجن.. وهناك عثر على رفيقيه في الزنزانة الرئيسية..

ـ معاذ.. رعد.. هل أنتما بخير؟

* شهاب.. كنّا في انتظارك.. أسرع في إخراجنا من هنا قبل أن يقتلوا أروى.. الوقت يداهمنا..

بحث شهاب عن شيء يفتح به قفل الزنزانة حتى وجد سلسلة مفاتيح ملقاة على الأرض..

* يبدو أنّه حارس مُهمِل يا شهاب.. فقد أسقط مفاتيحه..

سارع شهاب إلى فتح الزنزانة، لينطلق الثلاثة بسرعة نحو «غرفة الموت».. وجدوا أروى معلقة من قدميها، والملك في حالة ضعف بين الحياة والموت والمستشار يتحدث إلى أروى قائلاً: «سينتهي الأمر بسرعة.. أعدك بذلك».. بينما كانت أروى تبكي وترجو الخلاص الذي كان حينئذٍ يبدو مستحيلاً.. أمر الملك مستشاره بالإجهاز على أروى وذبحها بسرعة.. وكان شهاب في حالة جمود تام، وهو يتابع الأمر الملكي: أيها المستشار.. اقتلها الآن.. إنّي أتلهف لشرب دمها..

ـ آسف أيها الملك الحقير!

* ماذا..؟! أتجرؤ على عصيان أوامري أيها النذل؟

تعجّب شهاب وأصدقاؤه من هذا التحوّل المفاجئ الهائل في الوضع كله.. في تلك اللحظة، كان شهاب على وشك أن يصارع المستشار لمنعه من ذبح أورى، قبل أن يوقفه حديثه مع الملك..

ـ سوف أقتلك أنتَ.. وتتخلص المملكة من طغيانِك إلى الأبد..

* وكيف ستفعل ذلك؟.. أنت تعلم أنّكم لا تستطيعون قتلي.. الدماء التي تسري في عروقكم تمنعكم..

ـ ليس نحنُ من سيفعل، بل سيتولى السجينان الغريبان ورفيقهما الأمر..

* كفى اختباءً يا شباب.. اخرجو، أعلم أنّكم هنا!

خرج شهاب وأصدقاؤه، وصاحوا متعجبين:

ـ كيف علمت بوجودنا ولم يلاحظنا أحد؟

* طيلة السنين الماضية، لم يجرؤ أحد على قتل جندي واحد.. لكن خطتك كانت جيدة، وقد ساعدتُك على إنجاحها، فأنا من أعددت لإفراغ القصر وأمرت الحرّاس بملاحقة صديقك، ليتسنى لك الدخول بِحرية، وتركتُ المفاتيح أمام بوابة الزنزانة، حتى يمكنك تحرير رفيقيك، فقد علمتُ منذ أول ولهة أنّك منهم ومعهم، ومعكم هذه الفتاة..

تقدم المستشار نحو أروى، قطع الحبل، وأنزلها.. فهرعت نحو شهاب تعانقه بحرارة..

ـ كيف تجرؤ على تحريرها يا خائن؟

* منذ أن دخلتُ قصرك أيها الظالم، واستلمتُ منصبي كمستشار لديك وأنا أخفي بين جوانحي حقداً دفيناً لك وأكظم غيظاً شديداً تجاهك.. كيف

لا وأنت من دمرت قبيلتي وقتلت أمي واستخدمت دمها الطهر ترياقاً لك، واستوليت أنت وأخوك على حكم أبي.. ما لا تعرفه أيها الطاغية أنّ حكيم قبيلتنا تنبّأ قبيل وفاته بأنّ أربعة شباب غرباء سيدخلون المملكة يوماً وسيكونون سبباً في تحريرها من طغيانك، وإعادة العرش إلى من يستحقه فكنتُ أعمل جاهداً على تيسير أسباب حصول ذلك، وقد علمت ذلك بمجرّد أن أخبرَنا الشابان بأنّهما سائحان.. وكلنا يعرف أنّ المملكة لا يدخلها السيّاح!

وبعد أن صعق المستشار الملك بحديثه، التفت نحو شهاب قائلاً: تقدم أيها الذكي..

ـ ..وكيف أثق بك أيها المستشار؟

* لا داعي لأن تقلق.. الفتاة مع صديقيك، ولست راغباً في قتلك، فلو أردت ذلك ما سمحتُ لك بالوصول إلى هنا، ولا أرسلتُ لك قيس لمساعدتك!

ـ أنتَ...؟!

* أجل، أنا من أرسلتُه.. تقدّم وخُذ السكن واقتل الطاغية.. وَحْدَك من تُعقد عليه الآمال..

تذكّر شهاب كلمات أروى وهي مستلقية في الكوخ مريضة حين أبدت ثقتها في قدراته.. تقدّم بسرعة أخذ السكين، ومزّق رقبة الملك الذي سقط

صريعاً كالثور المذبوح يتخبط في دمائه، ليتحوّل بعد لحظات إلى جثة هامدة.. جثا المستشار على قدميه وهو يشعر بالامتنان..

* شكراً لكم جميعا.. وأنا آسف جداً على ما حصل لكم، وأتأسف كثيراً أيتها الفتاة على الأوقات الصعبة التي مرّت بكِ، أما أنتَ أيها الفتى.. فأعترف بشدة بذكائك.. أجدّد شكري لكم جميعاً، وسوف أساعدكم على العودة إلى عالمكم مكافأة لكم على ما ما قمتم به لصالح مملكتنا، لكنّي لست متأكداً من ذلك!...

ـ حسناً.. علينا أن نحاول أيها المستشار، فهذه الحياة ليست حياتنا.

* إذهبوا إلى تلك البلدة الواقعة خلف النهر، وابحثوا في مكتبتها عن كتابكم ربما تجدونه، ويكون سبباً في عودتكم من حيث أتيتم..

انطلق الشباب الأربعة نحو تلك البلدة، وما إن عثروا على المكتبة حتى شرعوا في البحث عن كتاب فارغ، لكنهم لم يجدوه، فسألوا شيخاً يبدو كأنّه قد قضى حياته كلها داخل المكتبة، فصدمتهم إجابته:

* لقد كان هناك كتابٌ فارغٌ فعلاً، ورميته في النهر، يمكنكم البحث عنه هناك..

صرخت أروى: مااااذا؟.. رميته في النهر؟!

ـ أجل.. لماذا تبدون مصدومين؟ هل هو مهم لكُم؟

* نعم.. أكثر مما يمكن أن تتصوّر..

ـ إذن عليكم أن تُسرعوا إلى النهر.. وابحثوا عن كتابكم المنشود، قبل أن يصل إلى الشلاّلات فتصبح مهمتكم مستحيلة..

أسرع الفتيان الأربعة إلى ضفة النهر، وأذهلهم حجمه الكبير، وأدركوا على الفور أنّ ركوبه سيكون مخاطرة كبرى، فقرّروا أن يسيروا على ضفافه، وهم يأملون أن يكون الكتاب الموعود قد علق في مكان يمكنهم الوصول إليه.. وبينما هم يتابعون السير والبحث، إذ صادفتهم غابة كانوا مجبرين على التوغل فيها، مادامت على حافة النهر، وما إن خرجوا منها حتى وجدوا مجموعة من الناس متجمعين حول فتاة.. اقترب شهاب ورفقاؤه لرؤية ما يحصل وسأل شهاب أحد الأشخاص، فأخبره أنّ الفتاة تحتضر، وأنّهم عاجزون عن علاجها، وقد كانت الفتاة، على ما يبدو، في مثل سن شهاب ورفاقه وأردف الشخص نفسه مستفسراً: «هل يمكنكم تقديم المساعدة؟»..

ـ في الواقع نحن بصدد البحث عن كتاب..

التفت شهاب إلى رفقائه وكأنّه يشاورهم.. وقبل أن ينبس ببنت شفة خاطبه ذلك الشخص:

* حسناً، إنْ ساعدتمونا في علاج الفتاة، سوف نساعدكم في البحث عن الكتاب.. هذه منطقتنا ونحن أدرى بها منكم..

ردّ شهاب بسرعة: اتفقنا..

حينها.. ظنّ شهاب وأصدقاؤه أنّ هذا القرار هو عين الصواب..

* قبل كل شيء عليكم بأخذ قسطٍ من الراحلة.. تعب السفر واضحٌ عليكم يا شباب..

ذهب الأربعة إلى منزل خُصّص لاستضافتهم.. سارع كلٌّ من معاذ ورعد للاستحمام، أما أروى فقصدت المطبخ لتحضير بعض الطعام، فيما أطرق شهاب برأسه مُعاتِباً نفسه، فقد كان يعتبر أنّه السبب في الورطة كلها، وقد شغله التفكير في إيجاد حل..

مرّت تلك الليلة، واستيقظت أروى باكراً لتجد شهاب جالساً قبالة النهر..

* صباح الخير شهاب..

ـ صباح النور أروى..

* يبدو أنّك قد استيقظت باكراً.. ما الذي أيقظك؟

ـ لا، لا شيء.. هل استيقظ رعد ومعاذ؟

* نعم، أظنهما يستحمان..

ـ حسناً.. لنتناول الفطور.

وبينما هم مجتمعون حول طاولة الطعام يتجاذبون أطراف الحديث، إذ سمعوا طرقاً على الباب.. لقد كان الشخص نفسه الذي طلب مساعدتهم لعلاج

تلك الفتاة..

* صباح الخير يا شباب..

ـ صباح النور، مرحباً.. هلاّ أخبرتنا بالطريقة التي يمكننا أن نساعد من خلالها في علاج الفتاة المسكينة..؟

* توجد عشبة تنمو في الجبل.. إنْ أحضرتموها فإنكم سوف تنقذون الفتاة..

ـ الجبل؟.. لا أعتقد أنه يمكننا صعود الجبل ونحن غرباء لا نعرف عنه شيئاً.. أليس كذلك؟.. تساءل شهاب متحدثاً باسم رفاقه..

* للأسف.. وحدكم من يستطيع فعل ذلك، ولكن أرجو أن لا تذهبوا معاً جميعاً..

ـ حسناً، سننقسم إلى مجموعتين.. سأذهب أنا ومعاذ، بينما أروى ورعد يبقيان هنا..

* أريد الذهاب معك يا شهاب.. عقّبت أروى، فردّ عليها:

ـ لا يمكن ذلك.. لا نعرف ما الذي ينتظرنا على الطريق إلى الجبل، وما الذي تخبئه لنا مرتفعاته، ولا أريد أن تصابي بأي أذى.. لقد عانيتِ بما فيه الكفاية.. هيا يا معاذ، لننطلق..

جهّز معاذ وشهاب أغراضهما، وقام بتوديع رفيقيهما..

* احرص على العودة سالماً يا معاذ..

قالها رعد، فأردفت أروى:

ـ لا تُطِل الغياب يا شهاب..

انطلق شهاب ومعاذ نحو الجبل، وفي طريقهما صادفتهما غابة كثيفة الأشجار..

ـ إذا شعرتَ بالخطر أهرب واتركني وحدي يا معاذ..

* شهاب.. لا تلعب دور البطل؛ لنسرع قليلاً..

وبينما هما يتمشيان إذْ وجدا نفسيهما قد أصبحا خارج الغابة، نظرا خلفهما فإذا بالغابة قد اختفت تماماً.. أحسّا ببعض الخوف والرهبة، لكنهما واصلا طريقهما؛ وفجأة حلّ ظلام الليل، وكأنه قد سرق سويعات من النهار..

* ألم نكن نتناول فطورنا منذ قليل فقط يا شهاب؟!

ـ أجل.. كل ما يحصل معنا عجيب.. هذا العالم بِرمّته غريب عنّا، لكن يجب أن نستقر في مكان ما، وننتظر طلوع الفجر قبل أن نواصل تحركنا، فالتحرك في مثل هذا الوقت وهذه الظروف صعب وخطير..

جلس الشابان في تحت شجرة كبيرة، منتظرين طلوع الفجر، وما إن تسللت خيوطه الأولى إلى الفضاء الشاسع حتى تسللا من مكانهما مستطلعين الأفق.. فلاح لهما من بعيد شابٌ في مثل سنهما وهو يتدرب على الرماية بالقوس والرمح.. تقدمّا نحوه، ففاجأهما بالحديث حتى قبل أنْ ينظر إليهما:

* مرحبا أيها الرفيقان.. أنتما غريبان.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. هل تستطيع مساعدتنا؟..

* دعونا نحتسي شيئاً أولاً..

سار شهاب ومعاذ رفقة الفتى، واسمه فارس، إلى منزله.. جلسوا يحتسون شاياً، يبدو كما لو أنّه قد أعدّه، مسبقاً، خصيصا لهما..

* ماذا تفعلان هنا؟

ـ نحن في طريقنا إلى الجبل للحصول على عشبة قيل لنا إنّها ستنقذ فتاة تصارع الموت في قرية أخرى..

صرخ فارس قائلاً: مـــاذا؟ هل أنتم مجانين؟

ـ لا تقلق.. نحن في الواقع أربعة، وقد تركنا اثنان من الرفاق هناك لمساعدة الفتاة..

* إنها الكارثة! لقد وقعتم في المصيدة.. لنستعد للمواجهة وبسرعة، سوف أجّهزكم بأسلحة!

ـ لماذا؟

لأنّنا بصدد مواجهة ساحرة.. لقد تعرضتم لخديعة كبرى.. في تلك القرية توجد ساحرة تستخدم وجوه الناس كأقنعة لها، وهي مهووسة بذلك، لدرجة أنّها تقتل الغرباء وتحوّل وجوههم إلى أقنعة..

في ذلك الوقت كان كل من رعد وأروى يغطّان في سبات، بل غيبوبة

بسبب منوّم وضعه لهما الشخص الذي خدعهما رفقة رفيقيهما، وهو شريك الساحرة التي تقمّصت دور الفتاة المريضة المحتضرِة.. والتي كانت تخطط وتعد لقتلهم أولاً، ثم لاستخدام وجوههم كأقنعة..

تجهّز شهاب ومعاذ وفارس، وانطلقوا مسرعين نحو القرية، وعند وصولهم وجدوا أروى ورعد مغمى عليهما، فأطلق فارس سهماً باتجاه المملكة وهاجم شهاب ومعاذ أفراد القرية؛ ونجح الأول في مراوغة الجميع وقام بحمل أروى وفرّ هارباً، أما رعد فتعاون فارس ومعاذ على حمله، وأسرع الجميع فارّين بعيداً قرية الظالمين..

* يا إلهي.. لقد نجونا بأعجوبة..

ـ شكراً لك يا فارس.. أنتَ شهم قلّ أمثالك..

* دعنا نحاول معالجة رفيقيكما..

وبادر فارس بمحاولة إفاقة رعد وأروى، وما هي إلا لحظات، حتى استعادا وعيهما تدريجياً، فحكى لهما معاذ تفاصيل ما حصل.. وبعد الاطمئنان عليهما، قال فارس متسائلاً:

* أخبروني الآن.. ما الهدف من مجيئكم إلى هذه القرية؟

ردّ عليه شهاب بالقول: لقد كنّا بصدد البحث عن كتاب فارغ يُفترض أن نجده في النهر أو على ضفافه..

* أتقصدون هذا؟..

..وفاجأ فارس الرفاق الأربعة الذين شخصت أبصارهم نحوه بإخراج كتاب كان يخبئه بين ثنايا ثيابه:

* لقد وجدتُه حين كنتُ أتدرب.. يبدو أنّ مياه النهر قد ألقت به..

سَعِد شهاب وأروى ومعاذ ورعد أيّما سعادة برؤية كتاب، فقد وجدوا ضالتهم أخيراً..

اجتمع الشبّاب حول طاولة وفتحوا الصفحة الأولى للكتاب، فلمحوا الجملة نفسها التي كان نطقها سبباً في هذه المغامرة الخطيرة.. وعندما همّوا بالشروع في قراءتها، سمعوا صيحة:

* شهـــــاب.. شهـــــاب..

ـ مرحباً قيس..

* أتريدون المغادرة دون وداعي؟..

عندما رأت أروى وتأملت وجهه جيداً، تعجبت كثيراً، فقد بدا لها مألوفا، فبادرته قائلة:

ـ عذرا يا قيس، ألم نلتقِ من قبل؟

تعجب قيس ثم ضحك قائلاً: هذا مستحيل.. لقد سمعت عنك من شهاب فقط..

لم تُنهِ إجابة قيس حيرة أروى فهي متأكدة أنّها رأته من قبل..

ودّع قيس كلاً من شهاب ورعد ومعاد وأروى، وقال مبتسماً:

* اهتموا بأنفسكم، وببعضكم يا شباب.. وعودوا لزيارتنا مرة أخرى..

ـ الوداع يا صديقي.. قالها شهاب، وسارع إلى قراءة تلك الجملة من الكتاب..

الجملة نفسها التي فتحت أبواب «الجحيم» عليهم، على أمل أن تتشلهم منه..

وفي لحظة، أو أقل، وجد الشباب الأربعة أنفسهم في نفس الطاولة التي التقوا فيها لفك سرّ الكتاب الغامض، وكأنّ شيئاً لم يكن.. حتى أنّهم استعادوا هيئتهم السابقة..

أدخل رعد يده في جيبه ليتفقد هاتفه، فوجده كما وضعه من قبل.. ضغط بإصبعه، ليطلّع على التاريخ والتوقيت، فصاح متعجباً:

* مـــاذا؟!.. لقد مرّت 10 دقائق فقط يا رفاق!

علّق معاذ وهو في قمة الذهول:

ـ غريب.. هل حصل كل شيء في عشر دقائق؟!

هنا تدخل شهاب وقد غمرته الدهشة:

الأغرب من ذلك ما طرأ على الصفحة الأولى للكتاب.. صفحة الواجهة.. انظروا..

..ألقى جميعهم نظرة على الكتاب، فلاحظوا أنّه أصبح يحمل عنواناً، بعد أن

كان غلافه فارغاً، بدون عنوان.. «المغامرون الأربعة».. هو العنوان.. وقد كُتِب تحته: «من تأليف قيس».

صُدمت أروى وهي تقرأ اسم المؤلف وزادت شكوكها بخصوصه.. فتح المغامرون الأربعة الكتاب ليتصفحوه مجدداً، فوجدوه هذه المرة مكتوباً.. بلا صفحات بيضاء..

استأذنت أروى قائلة: سآخذ الكتاب إلى أستاذي لأسأله شيئاً.. هل تسمحون لي؟

ـ حسنا.. تفضلي..

حملت الفتاة الكتاب، وأسرعت نحو أستاذها..

* أستاذ.. أريد سؤالك..

ـ تفضلي أروى..

* هل هذا الكتاب من تأليفك؟!

ـ نعم، لقد وضعته قبل خمس دقائق فقط في المكتبة.. هل أعجبك؟! لقد وظفتُ اسمك كشخصية رئيسية فيه..

فكّرت أروى أن تحكي له ما جرى.. لكنها تردّدت، وفضّلت العودة إلى رفاقها الثلاثة، وحين أخبرتهم بأمر الأستاذ زاد ذهولهم أكثر وأصبحت حيرتهم أكبر..

اتفق الرفاق الأربعة على استئناف حياتهم الطبيعية، في انتظار أن يكتشفوا شيئا أو أشياءً عن الكتاب الغريب ومغامرتهم العجيبة..

وبمرور الوقت نسي رعد ومعاذ الأمر، أما شهاب فكان الكتاب مازال يسيطر على تفكيره، فيما كان ذهن أروى منشغلاً بالتفكير في مشاعر شهاب الغامضة تجاهها..

ذات مساء، عاد شهابٌ إلى غرفته.. فتح الكتاب، وشرع يطالعه ويتعرف على ما حصل لأروى ومعاذ ورعد خلال فترات غيابه، شعر بنوع من الانجذاب نحو أروى فسارع إلى حمل هاتفه، واتصل بها:

ـ أروى.. مرحباً..

* مرحباً شهاب..

ـ أريد أن نلتقي مساءً.. فهل أنتِ متفرِغة؟

* حسناً.. لا مشكلة..

يتبع...